جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه / اسلامي

المادة

انتشار الاسلام

عنوان المحاضرة

الصلات القديمة بين الوطن العربي وافريقيا

استاذ المادة

أ.د. خالد محمود عبدالله

الصلات القديمة بين الوطن العربي وافريقيا .

كان لافريقيا جنوب الصحراء صلات تاريخية قوية مع العرب، وكان سكان السواحل وبخاصة اليمنيون والحضارمة وعرب الخليج أول رواد الافريقيا ، وبالتحديد الى الساحل الأفريقي الشرقي، فقد كانت مصالحهم في هذا الساحل امتدادا لتجارتهم العظيمة في الخليج العربي و بحر القُلزم (البحر الاحمر) والمحيط الهندي بصورة عامة.

ومن الجدير بالإشارة، أن العرب منذ القدم عرفوا صناعة السفن ، وقاموا برحلات بحرية بهذه السفن عبر البحر من الخليج العربي الى البحر الاحمر أوصلتهم إلى ساحل افريقيا الشرقي، كما ان الفنيقين عرفوا الساحل الأفريقي الشرقي ومارسوا التجارة هناك في حدود سنة ١٠٠٠ ق.م .

كما تحدثت الكتابات السومرية والاكدية والبابلية عن صلات العرب بالحيشة فقديمة جدا وترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد وهناك، نظرية تقول ان عرب الجنوب – أي غرب اليمن – هم الذين زودوا الساحل الأفريقي الشرقي بالعناصر الجزرية و(السامية)[١]، ويعتقد علاوة على ذلك ان غرب اليمن هو الوطن الأصلي للجيش الذين اسوا مملكة أكسوم ، وكانت المدن الساحلية الحبشية تتمون مما يجلب اليها من اليمن عن طريق البحر.

وفي القرن السادس قبل الميلاد هاجر السبئيون واستقروا في اريتيريا والحبشة التي سميت تعزية، والجدير بالذكر ان هجرة سبئية أخرى قامت في القرن الخامس قبل الميلاد متجهة اول الأمر إلى ساحل بحر القُلزم (البحر الأحمر) ثم توجهت إلى الساحل الافريقي كما مد السبئيون طرق القوافل نحو المناطق الداخلي .

كما ادخل السبئيون مهاراتهم الزراعية والصناعية وفنون تحتهم بل عاداتهم حتى اصبح الحاميون يعبدون الالهة السبئية وحين انهارت دولية سبأ بسبب الحروب المستمرة بينهم وانهيار سد مأرب عام ١٢٠ تقريبا مما سبب قلة الأراضي الصالحة للزراعة وتدهور الاقتصاد اخذ كثير من اهلها يهاجرون إلى الساحل الأفريقي الشرقي وينشئون مراكز تجارية لتصدير الذهب والعاج، وتذكر الاخبار ان الساحل الأفريقي الشرقي كان خاضعا منذ القرن الاول الميلاد لسلطة حكام عرب هم حكام بها وفي ريعان الذين فرضوا سيطرتهم على البلاد بحيث تقع سكان الساحل الأفريقي الشرق

---

(١) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دار اكتب العلمية، بيروت: ١٩٦٩م) : ٢/ ٣٩-٤٠ .

الجزية لهم، ما كانت تربط زعماء المعاشر بكان الساحل روابط قربى وتزاوج كما كانوا يرسلون من ميناء (مخا) في اليمن سفنا يقودها ربابنة عرب يعرفون لغة الساحل ويعرفون سكانه، وتركزت سلطة المغافر على مدينة التجارية التي تشير النصوص إلى أن العرب فرضوا سيطرتهم عليها بموجب حق قديم ربما من ايام الأوسانيين .

فالعلاقة بين العرب وشرق افريقيا اذاً قوية منذ قرون قبل الاسلام وبمجيئ الاسلام، وأن تأثير واضح في هذه البلاد حيث كان المسلمون التجار من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي وطئوا هذه البلاد وكان قدومهم لنشر الاسلام اولاً وللتجار حينا والاستقرار – حينا اخر، حيث بدا اختلاطهم يشتد بالسكان .

وما يلاحظ أن القبائل الأفريقيا لم تتمكن من ان تستوعب أو تذيب الوافدين اليها لان مورد العرب كان منهلا لا يكاد ينقطع وترتب على ذلك أن احتفظ هؤلاء المهاجرون بسماتهم المميزة الى درجة كبيرة، فقد ظل الاتصال التجاري بين الجزيرة العربية وأفريقيا الشرقية ينمو ويقع قبل الاسلام ، كما ان الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي مكنت السفن العربية الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة باقل مجهود ، **ففي الخريف** تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي، **وفي الربيع** تندفع الرياح باتجاه شمالي شرقي بحيث تكن السفن من العودة الى قواعدها في سواحل الجزيرة العربية، ولقد ظلت الرياح الموسمية سرا من الاسرار التي احتفظ بها التجار العرب والهنود لا تفهم إلى ان تمكن ملاح اغريقي في القرن الأول الميلادي من كشف اتجاه هذه الرياح.

ولعل أقدم صورة وصلتنا عن النشاط والترابط بين الجزيرة العربية والخليج العربي من جهة ، أفريقيا الشرقية من جهة أخرى عن طريق البحر الاحمر ، هو ما جاء في كتاب احد الملاحين الاغريق المسمى بـ الدليل الملاحي للبحر الارتيري، ويصف هذا الكتاب حالة العرب وتجارتهم في الساحل الشرقي لأفريقيا ، ويعجب من كثرة عدد السفن العربية ومن اختلاط العرب وتزاوجهم مع القبائل الأفريقية، كما يعرض لتعدد العناصر السكانية في الساحل وتطلعها إلى التعرف على اللغة العربية ومحاولة التحدث بها لما تتيحه لهم من أفاق واسعة في التجارة والتعامل .

وأخيرا لابد من القول ان العرب بوجه عام ، لم يتوغلوا في داخل الشرق الأفريقي قبل الاسلام ، انما اكتفوا بعلاقات تجارية مع الساحل حيث أن البضائع الأفريقية كانت تصل إلى المراكز التجارية التي اقامها العرب على الساحل وتنقلها السفن العربية من هناك إلى الجزيرة العربية والخليج العربي الا ان الوضع تغير بعد ظهور الاسلام حيث شهدت شرق افريقيا هجرات عربية واسعة واستقرار المال واقامة كيانات سياسية عربية اسلامية بل قامت مدن و امارات عربية اسلامية .

ومن دراسة العلاقات المتبادلة بين المنطقتين العربية والأفريقية يمكن أن نشير إلى تدخل الافارقة الاحباش في شؤون البلاد العربية المقابلة منذ القرن الأول الميلادي. حيث بدأت الحبشة في هذه الحقبة بتوجيه انظارها إلى اليمن وتكررت محاولات الاحباش حتى غزوا اليمن في عهد الملك الجبري ذي نؤاس[١]، وذلك عام ٥٢٥ م، والحق أن البيزنطيين هم الذين دفعوا الاحباش المسيحيين إلى بغزو اليمن والتوسع منها نحو الحجاز في محاولة للسيطرة على الطرق التجارية العربية .

وقد حاول الاحباش أن يؤثروا في المجتمع العربي والدين الاسلامي بتشييد اماكن للعبادة في اليمن في محاولة منهم لتحويل العرب عن مكة الى نجران ، لكن العرب رفضوا الاحتلال الاجنبي، وشنوا حروبا وغارات على مراكز الأحباش ومعسكراتهم بحيث اضطر أبرهة قائد الجيش وحاكم اليمن الحبشي إلى التراجع امام المقاومة العربية، ومن المعروف ان المصادر العربية قد ذكرت هزيمة أبرهة عند محاصرة مكة في عام الفيل، ان دوافع الغزو الحبشي لليمن كانت سياسية واقتصادية وان اخذت الطابع الديني ستارا لها، وذلك ان بيزنطة سعت إلى الوصول إلى الطرق التجارية المؤدية إلى البحر واخيرا كان الاسلام العامل الاكبر حسما في تحويل موازين القوى حيث انهارت امامه مملكة الحبشة كما ستفصل ذلك فيما بعد[٢] .

---

(١) ذي نؤاس : هو يوسف أسار يثأر الحميري (ت ٥٣٠م) تولى حكمه في سنة (٥٢٢م) حيث يعتبر اخر ملوك الدولة الحميرية الشرعيين . ينظر، وهب بن منبه: التيجان في ملوك حمير، تحقيق : مركز الابحاث اليمنية (مركز الدراسات اليمنية: صنعاء، ١٩٩٤م) : ٣١٢ .

(٢) علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٢/ ٥٩٥-٥٩٦ . ينظر، كامل : مراد، سيرة الحبشة (دار النهضة: القاهرة، ١٩٣٥م) : ٦٠٧ .

واخيراً نشير الى ان للافارقة وجوداً واستقروا في مجتمع الجزيرة العربية قبل الاسلام، بل ان كثير منهم كان قد اعتنق الاسلام عند ضهوره، فقد استخدم سكان الجزيرة العربية هؤلاء الافارقة في حماية القوافل والنشاطات الحربية .

تقسيم أقاليم أفريقيا الشرقية وعلاقتها القديمة بجزيرة العرب

تقسم أفريقيا الشرقية الى أربعة اقسام هي :

١- **بربرا** : أو ناحية بربرا من بلاد الزنج والحبشة وهي تعني اليوم السواحل الشرقية والشمالية الشرقية من الصومال، وتسمى ايضا بساحل بنادر .

٢- **أرض الزنج** : وتمتد من نهر ويبي شيبالي الى حدود تانغا جنوبا أو الطرف الجنوبي لجزيرة بمبا .

٣- **أرض سفالة** : تبدأ من بمبا ممتدة جنوبا ربما الى منطقة نهر المبوبو (نهر يخترق الهضبة الكائنة اليوم الى الجنوب من الزامبيزي) .

٤- **أرض الواق واق** : وهي تسمية غامضة لارض مجهولة في جنوب المنطقة أما لفظة (زنج) عند العرب ، والتي كانت قد اطلقت على السكان شرق افريقيا عنوا بها البانتا السود، مفرقين بينهم بذلك وبين البربر والحبش.

أما الاغريق والرومان فقد أطلقوا على افريقيا الشرقي تسمية أزانيا وأطلقوا على ساحل افريقيا الشرقي اسم ساحل ((عزانيا)) وهذه التسمية على ما يبدو جاءت نسبة الى احدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي يقال انها وجدت في احدى مناطق جنوب الجزيرة العربية في حقبة سبقت ظهور الاسلام وهاجر قسم من سكانها الى الساحل الأفريقي الشرقي[١] .

العوامل التي ساعدت العرب على الهجرة الى الساحل الأفريقي الشرقي :

جذب موقع الساحل الافريقي الشرقي الكثير من المهاجرين العرب . فالبعد عن مركز الخلافة جعله محطة انظار الفارين من اضطهاد أو اندحار سياسي. كما أن معرفة العرب القديمة

---

[١] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ٢/٢٣١ .

بالمنطقة قد شجعت الراغبين في الهجرة اليه. يضاف الى ذلك سهولة وامانة الوصول اليه، ولا سيما ان العرب قد عرفوا طرق الملاحة وقوانينها قبل غيرهم . وعلاوة على ذلك فان التجارة مع هذا الساحل قد جذبت الكثير من العرب المسلمين الى الهجرة والاستقرار في المراكز التجارية الساحلية من اجل كسب الرزق جراء ممارسة التجارة الدائمة في هذه المنطقة .

أهم نتائج هجرات العرب الى الساحل الأفريقي الشرقي هو تأسيس مدن ومراكز أهمها :

١- **مقاديشو** : كانت مقاديشو (عاصمة الصومال في الوقت الحاضر اول مدينة عربية تأسست على ساحل افريقيا الشرقي وذلك عام ٢٩٥هـ / ٩٠٧ م ، اسسها جماعة من العرب ينتسبون الى قبيلة الحارث العربية التي كانت مواطنها ما بين البحرين والاحساء. ويسبب نمو حركة التجارة في الساحل الشرقي لافريقيا، نجد ان مدينة مقاديشو قد احتلت مركزا تجاريا ممتازا بوصفها أهم ميناء تبحر السفن التجارية منه اليه .

٢- **باتا** : اسس العرب في الساحل الشرقي الافريقي مدينة اخرى هي مدينة باتا . وقد اشارت الكثير من الروايات المحلية السواحلية الى ان باتا اسست عام ٦٩هـ / ٦٨٩م على يد الاخوين سعيد وسليمان ابني الجلندي من عمان.

٣- **زنجبار** : جزيرة قريبة من الساحل الافريقي الشرقي، وكانت قديما مقر ملوك الزنج. وصل العرب الى هذه الجزيرة منذ وقت مبكر في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وقد استقروا فيها وبسطوا سيطرتهم عليها. والذي يبدو ان معظم الهجرات الى هذه المنطقة جاءت من البصرة والكوفة، كما نجد ان سكان زنجبار كانوا عربا وكانت تجارتها بيد العمانيين والسيرافيين .

٤- **مومباسا** : وهي احدى المدن التي اسسها العرب المسلمون في الساحل بل تعد واحدة من أهم المدن في الساحل الأفريقي الشرقي واقدمها . وقد بلغت أوج ازدهارها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وحكامها عرب مسلمون وكذلك سكانها[١].

---

[١] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٣١/٢ .